

التطبيع الثقافي واستراتيجية الحرب الصهيونية على الوعي

د. علي الحاج حسن*

مدخل

الوعي واحدٌ من الأبعاد الذهنية والمعرفية عند الإنسان، وهو يشكل الخلفية لكافة سلوكياته وتصرفاته. فنحن لن نجد إنساناً يمارس نشاطه وأعماله من دون أن تتطبع صورة في ذهنه تشكل الدافع وترسم الأهداف والخيارات. من هنا/ فإن عملية صناعة الوعي وتغيير الوعي تأتي ضمن سياق التحكم بأفعال الإنسان. وكما يمكن صناعة الوعي بالتربية والتعليم وأنماط الحياة... يمكن أيضاً القضاء على الوعي الموجود لزرع آخر يؤدي أهدافاً عند صاحبها. إن الحرب على الوعي عبارة عن استراتيجية يعتمدها الخصوم عادة، وقد تنشأ بين أصحاب الاتجاهات المتناسقة لتحقيق أهداف معينة. وبشكل أدق، فإن المقصود من الحرب على الوعي، مجمل العمليات والأدوات، التي تسعى بواسطتها الجهات المشاركة في إطار منظومة معينة إلى التأثير على وعي جمهور مستهدف معين أو منع التأثير عليه. وهدف الحرب على الوعي هو جعل الجماهير المستهدفة تتبنى مفهوم الواقع المطلوب لمن يمارس هذا المجهود، بحيث يصبح بإمكانه أن يحقق أكبر غايات استراتيجية مهمة بالنسبة له. وقد تكون الحرب على الوعي سلبية، أي منع تطوّر حالات وعي غير مرغوب فيها، أو إيجابية، بمعنى محاولة إنشاء وعي مرغوب فيه¹.

وقد يكون المراد الظاهر من الحرب على الوعي توجيه رسائل للخصم، إلا أنها تمتلك خفايا لا يُفصح عنها تؤدي إلى تحقيق الأهداف حيث لا حرب من دون أهداف. في هذا الإطار، يقول غابي سيبوني²، في دراسة له حول الحرب النفسية والتأثير على وعي الخصم في الحروب المعاصرة: "إنّ إسرائيل تريد من معركة الوعي توجيه الخطاب المباشر للجماهير في الدول والكيانات المعادية، بما في ذلك استهدافها من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، إلى جانب الأنشطة العسكرية التقليدية"³.

وفي الحقيقة، يُشار إلى الحرب على الوعي كونها حرباً من الجيل الرابع، والتي يُراد منها صناعة الوعي من جديد والسيطرة على العقول وتغيير الأولويات؛ وهي تختلف عن الأجيال الثلاثة الأخرى، إذ إن الجيل الأول

* باحث لبناني.

¹ حرب إسرائيل على الوعي: تماسك الداخل وتحريض على الخارج، موقع عرب 48، تاريخ النشر: 2019/05/08.

² خبير عسكري في معهد أبحاث الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب، والقائد السابق في لواء غولاني.

³ مقال: الحرب الإسرائيلية على الوعي العربي وتداعياتها، إحسان مرتضى، مجلة الجيش، العدد 401، تشرين الثاني 2018.

هو حرب بين جيشين عسكريين ومواجهة صاروخ ضد صاروخ، والجيل الثاني هو حرب العصابات، والجيل الثالث هو حرب وقائية وسريعة وخاطفة؛ ثم هذه الحرب التي تتعدد أدواتها وأهدافها وأولوياتها...⁴ يشير الخبراء العسكريون إلى مجموعة متنوعة من العمليات العلنية والسرية التي يقوم بها الجيش الصهيوني تحت عنوان «الحرب على الوعي»، وذلك لتحريض وإثارة النعرات، في أثناء مخاطبة الجماهير المستهدفة في المنطقة والعالم، لتبرير أي خطوات عسكرية قد ينفذها العدو الصهيوني ضدها في المستقبل. وهم يُنتون على "الدور الكبير الذي يقوم به المتحدثون باسم الجيش الإسرائيلي، عبر أنشطتهم على شبكات التواصل الاجتماعي الناطقة باللغة العربية، للوصول إلى مختلف الفئات المستهدفة في الدول المعادية"؛ ويؤكدون أنّ الحرب على الوعي ليست جديدة، بل هي جزء من حروب العصور القديمة. فضرب الوعي والروح المعنوية إنّما هو مقدّمة استباقية للضربة القتالية العسكرية ضدّ الخصم، ما يعني أنّ المعركة الميدانية يجب أن تتداخل وتتكامل مع عمليات الحرب النفسية الرامية إلى التأثير على عقل العدو وعزيمته.

ومما لا شك فيه أنّ التطوّر التكنولوجي الحاصل في العالم الافتراضي ووسائل التواصل الاجتماعي بشكل خاص، قد أوجد ساحة أخرى للحرب، إلى جانب ساحة المواجهة العسكرية الكلاسيكية. فالدول والجيش وجدت نفسها أمام ضرورة استغلال فضاء السايبر وشبكات التواصل الاجتماعي لتحقيق الإنجازات المعنوية والسياسية؛ وهذا يتطلب من الجيوش الحديثة السعي لتحقيق أهدافها عبر التأثير على معنويات العدو المستهدف وإرادته، بما في ذلك صنّاع القرار والقادة والمقاتلون، وكذلك الرأي العام المحلي والدولي.⁵ تتضمن الحرب على الوعي أدوات وأساليب عديدة، بعضها معروفة وتقليدية، مثل أدوات الحرب النفسية (كالتضليل والإشاعات...) والتأثير بواسطة وسائل إعلام واسعة الانتشار، وبعضها حديثة كالعالم الافتراضي والشبكات الاجتماعية...

يتطلب هذا النوع من الحروب معرفة عميقة للوعي الأساسي للجماهير المستهدفة، مثل ثقافتها ومعتقداتها وقيمها، ومعرفة الأساليب التي يمكن أن تؤثر عليها. وتتطلب ممارسة الحرب على الوعي نظرة متعددة المجالات، وخبرة مهنية من مجالات مكملة، مثل: علم الاجتماع، علم النفس، الأنثروبولوجيا، الاقتصاد، التسويق والدعاية، إلى جانب مهارات متنوعة، وخاصة معرفة الشبكات الاجتماعية، عالم المعلومات، الاستخبارات والإعلام.

⁴ مقال: حروب الجيل الرابع، معركة السيطرة على العقول والخداع النفسي..، شيماء شعبان، موقع بوابة الأهرام: 11-3-2019.

⁵ مقال: الحرب الإسرائيلية على الوعي العربي وتداعياتها، إحسان مرتضى، مجلة الجيش، العدد 401، تشرين الثاني 2018.

وتبيّن دراسة⁶ صدرت في الكيان الصهيوني حول دور الاستخبارات أن "الاستخبارات تلعب دوراً مركزياً في الحرب على الوعي. وعلى الاستخبارات أن تفهم وتستعرض الوعي الأساسي والوعي الآني لوضع جماهير الهدف المختلفة وطرق تبلورها، من أجل أن تتمكن من التأثير على جهود الوعي لجهات تقود الحرب. ويحتاج ذلك إلى استخبارات متنوّعة، وبينها استخبارات سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية".

من جهة أخرى، أزاح الصحافي الصهيوني يوسي ميلمان الستار عن وزارة الشؤون الاستراتيجية في الدولة العبرية، في مقال مهم نشرته صحيفته «ميدل إيست أي» البريطانية. ويبيّن أن من أدق وأصعب المجالات الموكلة للوزارة المذكورة هي صناعة الرأي العام، لدعم الرواية الصهيونية ومواجهة منظمات «بي. دي. إس» وشنّ حرب فكرية شاملة لطردها من الفضاء الافتراضي، الذي يبدأ من عالم الإنترنت إلى عالم العلاقات العامة⁷.

يتبيّن ممّا تقدم أن العدو الصهيوني يعمل، وبشكل جاد، على ممارسة حرب الوعي. وأما الأهداف التي يتوخاها من حرب الوعي، فإنّ ما يقّمه كيان العدو فكراً وفق استراتيجية الحرب الناعمة يرمي إلى تشويه الشخصية الفلسطينية وإنكار حقوقها التاريخية وطمس تاريخها، في محاولة لفكّ عزلة الكيان؛ بل لفصل التضامن الإنساني مع المقاومة وعزل المقاومة عن بيئتها، بأدوات حديثة وأقنعة ترفيهيّة مغرية، تجرف داخلها شبكة معقدة وواسعة. لناخذ نموذجاً واحداً فقط، مثل شبكة نتفليكس Netflix الأميركية التسجيل، والصهيونية السيطرة، حيث يظهر فيها الدور الخفي للهاسبرا، لأنها ليست خدمة عادية؛ وهي فعلياً الآن تعمل كخدمة بثّ إعلامية متكاملة، وتقدّم مئات العناوين التلفزيونية التي تُعرض على شاشتك عبر تحميل التطبيق الخاص بها. تجد نفسك أمام العديد من البرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية، فضلاً عن البرامج التي تنتجها «نتفليكس» نفسها، ومنها مسلسل فوضى «الإسرائيلي» الذي يُحقر الفلسطيني كشخصية فاشلة وعاجزة وهزلية؛ وهذا شكّل حديثاً من إعادة السيطرة على العقول، من خلال برامج وتطبيقات هاتفية، ولكنها تبتّ أيضاً على أجهزة التلفاز الذكية⁸.

التطبيع الثقافي والحرب على الوعي

يعتمد التطبيع الثقافي على مجموعة من الاستراتيجيات التي تُسهم في بلورة ما يريده العدو، وجميعها تندرج ضمن محاولات الحرب على الوعي. ومن أبرز هذه الاستراتيجيات:

⁶ الدراسة صدرت في كتاب عن "معهد أبحاث الأمن القومي" في جامعة تل أبيب و"معهد أبحاث منهج الاستخبارات" في "مركز تراث الاستخبارات". أعدّ هذه الدراسات باحثون في مجالات متعددة، أمنية وعسكرية وإلكترونية. والكتاب من تحرير، دافيد سيمان طوف ويوسي كوبرفاسير، وهما ضابطان سابقان في شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية. نقلاً عن: حرب إسرائيل على الوعي: تماسك الداخل وتحريض على الخارج.

⁷ مقال: اختراق الوعي الوطني وفرض التطبيع والهزيمة والاستسلام: عن الهاسبرا والثقافة المعاقبة، مروان عبد العال، صحيفة الأخبار، 29 كانون الثاني 2020.

⁸ المرجع السابق.

1- الاهتمام بعينة من الكتاب والصحفيين والأكاديميين، وفتح المنابر لهم، وتوفير فرص تدفعهم إلى مناصب سياسية واجتماعية متقدمة، حتى وإن كانت مؤهلاتهم الحقيقية متواضعة وضعيفة، أو من خلال جمعيات أهلية عربية تدعم مشروع التسوية، وتدفع باتجاه التطبيع، كجمعية «بذور السلام» غير الحكومية التي تأسست عام 1993م، إثر اتفاق أوسلو بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني؛ وذلك لأن الأكاديميين يتركون آثاراً واضحة على الاتجاهات الشعبية، ويساهمون في تكوين الرأي العام؛ وهذا يعني بشكل أو بآخر حرباً على الوعي.

2 - إيجاد أنصار للتطبيع، مع دعمهم وإبرازهم من خلال المنظمات الممولة أمريكياً وأوروبياً تحت لافتات متعددة ومتنوعة، مثل منظمات الدفاع عن حقوق المرأة ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان داخل المجتمع العربي، ليقوموا بالأدوار التالية:

أ - الطعن في الإسلام وادّعاء عدم صلاحية الشريعة للتطبيق، وضرورة علمنة المجتمعات العربية والإسلامية وتبديل أحكام الشريعة، ومحاصرة دعاة الإسلام واتهامهم بالتطرف والإرهاب والظلامية...إلخ.

ب - القول إن النص القرآني يجوز التعامل معه كنص تاريخي، أو الهجوم على كل تفسير صحيح للإسلام، وبشكل خاص الآيات القرآنية التي تتعلق بالجهاد.

3- الترويج لما يسمّى بثقافة السلام، الذي وجد طريقه إلى العديد من الكتابات والأفكار التي طُرحت في العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية والعربية العامة، وكذلك الندوات والحوارات عبر القنوات الفضائية، والتي تدعو إلى نسيان التاريخ - تاريخ الصراع العربي الصهيوني - وإلغاء ذاكرة الأمة.

4 - تشويه صورة الجهاد والمجاهدين المقاومين للاحتلال في نفوس الشعوب المسلمة، والسعي لإيقاف الدعم عنهم ونعتهم بالإرهاب.

5 - استخدام طوائف من عرب أراضي ثمانية وأربعين، الذين هم داخل الخط الأخضر، للترويج للتطبيع، كما هي خطة (عزمي بشارة) التي عرضها على الكنيست الصهيوني، والتي قدّمها كمشروع لدولة المواطنين، والتي يدعو فيها إلى المساواة بين الفلسطينيين والصهاينة؛ وهو لا يعني سوى إضفاء شرعية نهائية على اغتصاب فلسطين بشرط الاعتراف بحقوق الفلسطيني في المواطنة⁹.

مظاهر تبديل الوعي في مسار التطبيع

يتبين من تاريخ الصراع بين العالم العربي والكيان الصهيوني، وكذلك محاولات الدول الغربية، وعلى رأسها أميركا، من أجل التقريب والتطبيع بينهما، أن الخطوات العملية للحرب على الوعي بهدف التطبيع قد بدأت

⁹ التطبيع.. أصبح العدو اللدود صديقاً حميماً!، إعداد: عادل الراجحي، موقع مكتبة نور، ص12.

منذ زمن طويل، وتحت مسميات عديدة قد يعتبرها البعض مقبولة وموضوعية؛ إلا أن ما يجري هو في الواقع يمهّد الطريق لقبول الآخر الصهيوني واعتباره طبيعياً في قلب العالم الإسلامي. وسنحاول تالياً الإشارة إلى بعض المظاهر التي تندرج في إطار هذا الهدف:

1- ترجمة الكتب: تُعتبر ترجمة الكتب العبرية إلى العربية، وبالأخص الكتب التي دُونها قادة الكيان الصهيوني، واحدة من أبرز معالم التطبيع الثقافي، على رغم كلّ المبررات الثقافية التي قدّمها الأشخاص أو المؤسسات الفاعلة على المستوى الثقافي والفكري. وقد برزت إشكاليات وجدليات عديدة منذ توقيع معاهدة كامب ديفيد مع العدو الصهيوني تتعرض لإشكالية الترجمة من وإلى العبرية؛ وهي إشكالية تمس المشهد الثقافي العربي برمّته. وقد انجرّ مثقفون وكتّاب وأدباء عرب من أقطار عربية متعددة إلى السجال الدائر حول هذه القضية، التي تخفي في طياتها العديد من المعاني.

وفي كلّ مرّة كانت تعود فيها قضية الترجمة من وإلى العبرية إلى السطح، كان يثور السجال مجدداً حول ما إذا كانت طبيعياً أم معرفة ضرورية "للآخر"! وقد ذهب البعض إلى اتهام العرب بالجهل لأنهم يرفضون معرفة "إسرائيل"، في الوقت الذي يقوم فيه "الإسرائيليون" بترجمة الأدب العربي المعاصر منهجياً من عقود... ناهيك عن الترجمات السياسية والفكرية.

ولكن لماذا يتجاهل "محبّو المعرفة"، ممّن يروّجون لترجمة الأدب "الإسرائيلي"، أن مثل تلك الترجمات هي بالأساس مشروع مؤسسي منظم للدولة الصهيونية نفسها؟ وقد أسست لهذا الغرض عام 1962 "معهد ترجمة الأدب العبري"، الذي يقول في موقعه على الإنترنت إنه يقدّم "الدعم المالي لدور النشر التي تتولّى ترجمة الأعمال الأدبية الإسرائيلية الحديثة بصورة مستقلة"، و"للمجلات التي تخصّص أعداداً خاصة للأدب العبري الحديث، وللناشرين الذين ينشرون مقتطفات منه"... بالاتفاق مع المعهد طبعاً.

إذاً، ثمة أموال تضخ، وجهود تُبذل، واتصالات تجري، وخطط توضع، من أجل إقناع العالم بأن هنالك دولة طبيعية أسمها "إسرائيل" تُنتج أدباً وفكراً وحضارة؛ وهو مشروع تطبيع ثقافي على مستوى عالمي، تحرّكه عقدة نقص متجذرة في حداثة سن تلك الدولة المفتعلة، التي تعرف في قرارة نفسها أنها كذبة بلا تاريخ ولا حضارة... فهي التي تتلوّى لكي نعترف بها ثقافياً، وليس العكس. أما إقناع المواطن العربي بأن ثمة دولة طبيعية اسمها "إسرائيل" تنتج ثقافة وأدباً لا بدّ من التواصل معهما وتقديرهما، فلا يمكن إلا أن يكون مشروعاً تطبيعياً من الدرجة الأولى، أو مشروعاً لإدخال الكاتب "الإسرائيلي" في النسيج الثقافي... والروائي والشعري، العربي .

لعلّ من الصعب الإحاطة بكافة الكتب المترجمة عن العبرية، إلا أن الاطلالة على بعض هذه الأعمال تقدّم فكرة واضحة حول مستويات التطبيع ومراحله. فكيف يمكن أن نفهم محاولة البعض ترجمة مذكرات قادة

الكيان الصهيوني، وهي في الواقع تجارب شخصية لأشخاص عاشوا نهاية حالة الإجماع بحق العرب والمسلمين، أم أن الهدف هو محاولة بثّ الرواية الصهيونية لإقناع الآخر بها ولو عبر التكرار؟! أما أبرز هذه الكتب المترجمة فهي:

* نشرت الدار المعروفة باسم (مدارك)، والتي يملكها الإعلامي السعودي تركي الدخيل، الترجمة العربية لكتاب: «المملكة العربية السعودية والمشهد الاستراتيجي الجديد» للمؤلف الإسرائيلي جاشوا تيتلبام. قدّم للكتاب الأستاذ الجامعي الأميركي من أصل لبناني فؤاد عجمي، المعروف بقربه من المحافظين في الولايات المتحدة، وترجمه الدكتور حمد العيسى.

وهذا الكتاب ليس الأول من نوعه، حتى في الساحة الثقافية السعودية، حيث لا يُعدّ وجود كتب لمؤلفين إسرائيليين جديداً. ففي أبريل من العام 2010، ظهرت في معرض الرياض الدولي للكتاب رواية سوّقتها دار نشر عربية هي (الجمال)، تحمل اسم «أسطورة عن الحب والظلام»، للمؤلف الإسرائيلي عاموس عوز. ولقيت الرواية إقبالاً ملحوظاً.

وتكاد لا تخلو مكتبة عربية معروفة من كتب لمؤلفين إسرائيليين. وتهتم مراكز دراسات وأبحاث ووسائل إعلام بترجمة يومية للصحف الإسرائيلية؛ وهناك مراكز تتابع كلّ ما تنشره مراكز الأبحاث والدراسات الإسرائيلية، وتقدّم بعضه للعالم العربي.

* أبرز الكتب التي تسوّق في الدول العربية هي كتب لزعماء الحرب الإسرائيليين الذين أصبحوا قادة الدولة العبرية، من قبيل كتاب «سلام بيغن: قصّة الأرعون»، لمؤلفه رئيس الوزراء الأسبق مناحم بيغن، وهو من ترجمة صلاح طوقان، والناشر دار الشجرة للنشر والتوزيع؛ وكتاب «الإرهاب» لبيغن نفسه، وهو من ترجمة وتحقيق معين محمود، والناشر دار المسيرة للصحافة والطباعة؛ وكلا الكتابين يسوّقهما موقع مكتبة النيل والفرات.

* كذلك صدر لرئيس الدولة العبرية شيمعون بيريس بالعربية كتابان، هما: «معركة السلام، يوميات شيمون بيريز»، ترجمة عمّار فاضل ومالك فاضل، وكتاب «الشرق الأوسط الجديد»، ترجمة محمد حلمي عبد الحافظ، والكتابان نشرتهما "الأهلية للنشر والتوزيع".

* أما كتاب وزير الدفاع الصهيوني الأسبق موشي دايان: "قصّة حياتي: قيام دولة إسرائيل وحروبها ضد العرب"، فترجمه طارق نصر الدين، ونشرته مكتبة النافذة؛ وكذلك كتاب «مكان بين الأمم: إسرائيل والعالم» لرئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، ترجمة محمد عودة وكلثوم السعدي، ونشر «الأهلية».

* كتاب آخر هو «مذكرات إسحق شامير»، الصادر ضمن سلسلة شخصيات إسرائيلية، عن دار الكتاب العربي، في العام 1995، وكتاب «مذكرات إسحق رابين»، عن دار الجليل للطباعة والنشر 1993. وكذلك عدد من مؤلفات وزير الخارجية الأسبق ييجال آلون.

* صدر كتاب «اختراع أرض إسرائيل»، من تأليف شلومو ساند، أستاذ التاريخ في جامعة تل أبيب، والكتاب من منشورات (مدار) والمكتبة الأهلية في عمان؛ كما صدرت الكتب التالية: «فلسطين في الكتب المدرسية في إسرائيل - الأيديولوجيا والدعاية في التربية والتعليم» لنوريت بيلد - الحنان، و«نظام ليس واحداً»، لأرييلا ازولاي وعدي أوفير، و«في مصيدة الخط الأخضر»، ليهودا شنهاف، و«أسرى في لبنان»، لمؤلفه عوفر شيلح ويوئاف ليمور، وكتاب «سلام متخيّل - عن الخطاب والحدود، السياسة والعنف»، لمؤلفه ليف غرينبرغ، و«قراءة إيران في إسرائيل - الذات والآخر، الدين والحدثة»، لمؤلفه حجابي رام¹⁰.

2 - النشاطات الفنية: تكاد النشاطات المتعارف عليها بالفنية تُعدّ من أوسع نوافذ التطبيع الثقافي وكي الوعي مع العدو الصهيوني، والأكثر انتشاراً، حيث إن الإلمام بكافة هذه النشاطات قد يكون متعزراً. ومع ذلك، نشير إلى بعض النماذج. نُشر في كانون الأول عام 2016 شريط فيديو فاجأ الكثيرين، ظهر بحرينيون يرقصون شابكي الأيدي مع حاخامات حضروا حفلاً أقيم في العاصمة «المنامة». ففي هذا الحفل الذي اعتُبر «دينيّاً»، شاركت شخصيات بحرينية الاحتفال والرقص مع يهود من حركة (حباد) الدينية المتطرفة.

لم يكن الرقص على إيقاع أغنية «عام يسرائيل حاي» في الحفل السابق هو مظهر البهجة الأول الذي يجمع بين بحرينيين وصهاينة على أنغام الموسيقى والكلمات التي تمجّد «إسرائيل»، إذ **آثرت الفرقة الموسيقية الملكية البحرينية** هذه المرّة الذهاب إلى «لوس أنجلس» والعزف في المؤتمر السنوي لمعهد «شمعون فيزنتال». لقد عزفت بمهارة نشيد «هاتكفاه» القومي الصهيوني؛ وقد اعتبرت بعض الكتابات الصهيونية ان تعمد ولي العهد البحريني اصطحاب الأوركسترا الوطنية وإنشاد «هاتكفاه» **«تجاوزاً لكلّ الخطوط الحمراء** بالنسبة للمسلمين في جميع أرجاء العالم»¹¹.

وقد برز اسم المخرج اللبناني زياد دويري، الذي صوّر في العام 2010 أجزاء من فيلمه «الصدمة» في الكيان الصهيوني. والفيلم في الواقع هو محاولة لتبييض صورة العدو، وتبرير عنصريته تجاه الفلسطينيين؛ لا بل تبرز محاولة تبييض صورة العدو عندما ركّز على تكريم سلطات الاحتلال لأمين جعفري، زوج منفذة العملية، وتمنحه جائزةً تقديراً لعطاءاته في المؤسّسة «الإسرائيلية» التي اندمج فيها¹².

¹⁰ ترجمة الكتاب الإسرائيلي.. تطبيع ثقافي أم ضرورة معرفية؟، ميرزا الخويلدي، 2014/5/17.

¹¹ البحرين الأكثر سرعة في الماراثون الخليجي للتطبيع مع إسرائيل، موقع ساسة بوست، 2017/9/28.

¹² صحيفة النهار، 2017/9/12.

وقد لا يكون غير بعيد عن النشاطات التطبيعية الدور التي تطّلع به الإذاعات الإسرائيلية الناطقة بالعربية. لجأ الاحتلال في زمنٍ مضى إلى توظيف وسائط إعلامية عن بُعد لمخاطبة العالم العربي، فاقتطعت "صوت إسرائيل" بالعربية حصّة من الاستماع، ثم اضمحلّت مع صعود الفضائيات الإخبارية العربية، التي حاول الاحتلال محاكاتها بقنوات مرئية دون جدوى.

عمدت تلك الإذاعة إلى بث برامج إخبارية متعددة ومحشوة بمضامين اجتماعية وصحية، مع استمالة المستمعين إلى أثير "راديو العدو" بأغاني مشاهير الطرب العربي.

كما بثّت المحطة حصصاً لتعليم العبرية؛ ثم طوّرت دعاية الاحتلال الثقافية وسائط تعليمها عبر الإنترنت ثم مواقع التواصل الاجتماعي. حقّقت الشبكات اقتراباً توصلت إلى جمهور إلى معايشة تتيحها التفاعلية المتبادلة ضمن مجتمع متعلّق افتراضياً حول اهتمام مشترك، خلافاً لأحادية الاتجاه في معادلة البث والتلقي في زمن الإذاعة.¹³

3 - وسائل التواصل الاجتماعي: لا يدّخر الكيان الصهيوني جهداً في محاولاته المستمرة والمستميتة لجذب الشباب العربي، وتبديل الحقائق وتزييف التاريخ. بدأ الكيان الصهيوني العمل لاستغلال الفضاء الإلكتروني بكافة أشكاله، وعلى رأسه مواقع التواصل الاجتماعي الشهيرة "فيس بوك" و"تويتر"،... لتصبح "السوشيال ميديا" ملعباً جديداً للكيان لاستقطاب الشباب العربي، والضغط على القضية الفلسطينية، وترسيخ أكاذيب الصهاينة في كافة المسائل الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط، في خطوات يمكن تسميتها بـ"التطبيع الإلكتروني"، الذي بدأ بالفعل في جنى ثماره والإيقاع بالكثير من الشباب العربي، وسط غياب كامل للردّ العربي أو المواجهة الفكرية.

وقد برزت إلى الواجهة ثلاث صفحات للعدو الصهيوني، ذات شعبية كبرى، وهي: "أفيخاي أدري"، و"إسرائيل تتكلم بالعربية"، و"إسرائيل في مصر"، والتي يتابعها قرابة مليون ونصف عربي؛ وهم يتميّزون بتفاعل كبير داخل هذه الصفحات، وبصورة خاصة مع صفحة المتحدث باسم جيش الاحتلال الإسرائيلي "أفيخاي أدري"؛ لكن المشاركة بكافة أشكالها تعطي انتشاراً أكبر لمنابر الكيان الصهيوني، وهو في حدّ ذاته هدف من أهداف إنشاء تلك الصفحات، الأمر الذي يسمح من وقتٍ لآخر بظهور تعليقات غريبة، مثل: "عاشت إسرائيل"، و"باسم أهالي بغداد نعتذر نيابة عن العرب عمّا يقوم به الأشرار".

"إسرائيل تتكلم بالعربية" هي صفحة أخرى موثقة من إدارة "فيس بوك"، أنشأتها وزارة الخارجية الإسرائيلية كمصدر للمعلومات عن الكيان باللغة العربية. واللافت في الأمر وجود حالة من الحوار بين القائمين على إدارة الصفحة والمتابعين العرب؛ فكثيراً ما نجد إدارة الصفحة ترد على تساؤلات البعض، وتعلّق على بعض

¹³ رهان التطبيع... أنسنة الاحتلال في وعي العرب، حسام شاكر، موقع الجزيرة.

القضايا. وعلى عكس معظم التعليقات في باقي الصفحات، تظهر الكثير من التعليقات المؤيدة والمناصرة للعدو الصهيوني، ودعاة التطبيع، الذين عبّروا عن رغبتهم الشديدة في تعايش العرب و"الإسرائيليين" في سلام!

كذلك، يتخطى عدد متابعي الصفحة الرسمية لسفارة العدو الإسرائيلي في مصر الأربع والأربعون ألف شخص، ومهمتها الرئيسية نشر القضايا المثيرة في مصر، على غرار زيارة البابا تواضروس للقدس للصلاة على مطرانها الراحل إبراهيم الأورشليمي¹⁴.

إنّ طبيعة مواقع التواصل الاجتماعي المتفلتة من التزامات وسائل الإعلام التقليدية، جعلتها منصة ملائمة لمضامين متعددة، من بينها مضامين تطبيعية صادمة، هي غالباً نتاج حسابات موجهة ومزيفة وجيوش إلكترونية. ويزيد جاذبية ترويج مضامين كهذه ما تحرزه المضامين الصادمة من اهتمام واسع وتداول عريض يُغريان بالإقدام على رؤيتها.

وفي مسعاها لتكثيف الوعي وإخضاعه، تعتمد الدعاية الإسرائيلية إلى زرع بذور الشك في قناعات سائدة عبر العالم العربي، من خلال تضمين عناصر وإشارات قد لا تكون ملحوظة، وتستهدف تقويض تصوّرات مستقرة في الوعي الجمعي العربي.¹⁵

4 - **تغيير المناهج الدراسية:** يبدو تغيير المناهج التعليمية من أخطر مظاهر التطبيع وأشدّها تأثيراً على مستوى إفراغ الحقوق الذاتية والواقعية من محتواها، والتأسيس لقبول الكيان الصهيوني، حيث ستترك المناهج تأثيرها على الأجيال الناشئة كونها ستترجى بطريقة لا يظهر من خلالها العداء بين العرب والمسلمين من جهة والكيان الصهيوني من جهة ثانية. وبعبارة أخرى، يهدف تغيير المناهج إلى تغييب العناوين والأفكار التي تحكي عن الحق الذاتي، وتروج للمحتل الصهيوني أو أنها تخفّف من وطأة احتلاله واغتصابه، وبالتالي فرضه كأمر واقع.

على المستوى الفلسطيني، علت أصوات فلسطينية، من الداخل والخارج، ضدّ وكالة «الأونروا» بعدما همّت بتغيير المناهج الدراسية للطلاب في مدارسها. وتحدثت صحيفة «الأخبار» عن بعض مظاهر تغيير المناهج هذه، إذ إنها تتضمن المناهج التي كان يُعمل عليها. كان من المفترض أن تتغير كلمة «فلسطين» في واحدٍ من كتب المرحلة الابتدائية لتصبح «يقطين»! أما الخريطة الفلسطينية، فكانت ستبخر تماماً. والأم التي كانت تتعاون مع ابنتها في «تطريز خريطة فلسطين» ستصبح، بعد التعديل، تتعاون مع ابنتها في «تطريز ثوب فلسطيني». أيضاً، كانت ستبخر تماماً كلمة «احتلال» من إحدى الصفحات؛ وكذلك التمرين المتعلق

¹⁴ ريهام عبدالله، التطبيع الإلكتروني "أحدث وسائل "تل أبيب" لاستقطاب وسقوط الشباب العربي في الفخ، موقع مجلة اليوم السابع، 2015/12/15.

¹⁵ رهان التطبيع...أنسنة الاحتلال في وعي العرب، حسام شاكر، مرجع سبق ذكره.

بـ«يوم الأسير الفلسطيني» وفي مكان آخر، في أحد دروس اللغة العربيّة، سيحلّ «الأمير» مكان «الأسير». وستُستبدل جملة «القدس عاصمة فلسطين» بجملة «القدس مدينة الديانات السماويّة». السجن سوف يُصبح «بلديّة»... واللائحة طويلة؛ لكنّ الفصل الأخير من هذه المسرحيّة التافهة سيُحيل رسم جدار الفصل العنصري إلى هيئة «شلال».¹⁶

أيضاً، قدّمت المناهج الجديدة في مصر «إسرائيل» باعتبارها بلداً صديقاً وليست عدواً، ولم تتطرق لحروب مصر وشهادتها على أيدي الصهاينة. كما حذفت أهم بنود "معاهدة السلام" المرتبطة بالقضية الفلسطينية، مثل الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، ودور مصر المحوري في مسانده¹⁷.

وفي موضوع تغيير المناهج، يقول د. زكي البحيري: "لقد كرّست المناهج المدرسية الجديدة [في مصر] لإقناع تلاميذ مدارسنا بقبول اتفاقية كامب ديفيد و"معاهدة السلام" مع الكيان الصهيوني"¹⁸. وما حصل في مصر جرى مثله في الكويت، حيث اعترفت لجنة حكومية كويتية، بتاريخ 14 آذار 1995، بأنها شطبت بعض الآيات القرآنية التي تحدّر من التعاطي مع اليهود والكيان الصهيوني، من المناهج التعليمية، مبزّرة ذلك بالحاجة إلى "حذف الحشو الزائد" في المناهج¹⁹.

وفي لبنان، جرى العديد من المحاولات التي قامت بها وزارة التربية²⁰ لتغيير بعض المناهج الدراسية بهدف التخفيف عن التلامذة. ومع ذلك، برز نشاط لافيت في التغيير لمؤسسة «أديان» التي سيطرت على ورش العمل الجارية لمناقشة تعديل المناهج، وبثّت فيها ما تعتبره قيم «السلام» و«قبول الآخر»، وضغطت لإزالة كلّ ما تعتبره حصّاً على العنف من كتب التعليم الأساسي وما قبل الجامعي.

لكن اللافت في محاولات التغيير هذه أن المقصّ في مادة التاريخ كان أمضى وأكثر إثارة للسجال، إذ جرى حذف 3 حصص (دروس) للسنة التاسعة تتعلق بـ: نشأة الصهيونية، فلسطين في ظل الانتداب البريطاني، الحروب العربية - الإسرائيلية، نكبة سنة 1948، حملة 1956 (العدوان الثلاثي)، حرب حزيران (سنة

¹⁶ محرقة لوعي اللاجئ الفلسطيني - إسرائيليون في الأونروا!، محمد نزال، موقع صحيفة الأخبار، 3188

¹⁷ مقال: هل سهّل طه حسين اختراق الصهيونية لمصر؟، وجدي الكومي، موقع المدن، 2017/12/10

¹⁸ غزو بلا سلاح؛ التطبيع المستحيل، سمير أحمد، دار الكونز الادبية، بيروت، ط1، 2001، ص57.

¹⁹ المرجع السابق.

²⁰ اتخذ وزير التربية السابق الياس بو صعب قراراً في أيلول عام 2016، قضى بحذف عدد من الدروس والمحاور في التعليم المتوسط والثانوي للعام الدراسي 2016/2017. طال هذا القرار محاور ودروساً مهمّة للغاية، في اللغة وأدائها والكيمياء والفيزياء وعلوم الحياة والرياضيات والتربية والتاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة... وكانت حجّته التخفيف عن التلامذة وترشيح الامتحانات الرسمية.

1967). وهكذا جرى حذف «القضية الفلسطينية» من درس التاريخ، ولم تعد مذكورة إلا عَرَضاً في حصّة واحدة، تحت عنوان «الأردن والقضية الفلسطينية حتى 1967».²¹

أخيراً، يبدو أن الحرب على الوعي هي استراتيجية صهيونية يحقّق الكيان الغاصب لفلسطين من خلالها ما يمكن أن يعجز عنه بالحروب على أشكالها، إذ إن هناك فرقاً بين أن تُجبر شخصاً على قبول ما تريد أو تجعله يقبل من تلقاء نفسه عن قناعة ورضى. أما المواجهة فتكون بمقدار المسؤولية التي تتوقف على مدى الوعي والمعرفة لدينا كمستهدفين، في كل البلاد العربية والإسلامية.

²¹ فتن الحاج، جريدة الأخبار، الإثنين 29 أيار 2017، شطب «القضية الفلسطينية» من المناهج التعليمية: تطبيع مستتر مع إسرائيل. على الرغم من أن وزارة التربية أكدت في رسالة إلى الأساتذة الثانويين أن "لا علاقة لأديان بتغيير المناهج".